المجلس الإسلامي العلمائي
Olamaa Islamic council

# إضاءات

في وقاية النَّفس والأسرة والمجتمع

الشيخ فاضل دهنيم

www.Olamaa.net

قوا أنفسكم وأهليكم ...
موسم نداءات التّوبة الرابع ١٤٣١هـ

# إضاءات

في وقاية النَّفس والأسرة والمجتمع

الشيخ فاضل دهنيم

# الفهرس


إطلالة ٣
مقدمة ٥

**المحور الأوَّل: وقاية النَّفس**

محوريَّة قضيَّة وقاية النَّفس ٧
أساس العقيدة ٨
العلم الواجب ٩
الالتزام بالشَّريعة ١٠
أ - إتيان الواجبات ١١
ب - اجتناب المحرمات ١١
الإخلاص لله تعالى ١٣

**المحور الثَّاني: وقاية الأسرة**

أهمية الأسرة وخطورة دورها ١٧
وجوب حماية الأسرة ووقايتها ١٧
حقيقة التَّربية الإسلاميَّة ١٩
فنُّ إدارة الأسرة والتَّربية ١٩
التَّخطيط والتَّفاهم بين الوالدين ٢٠
الجوُّ الأسريُّ الدَّافئ ٢١
في مدرسة الوالدين (القدوة الحسنة، أو السيئة) ٢٣
التَّبكير في التَّربية الصَّالحة ٢٤
حماية الأبناء من العقائد والأفكار المنحرفة ٢٥
حماية الأبناء من رفقاء السُّوء ٢٥
وقاية الأسرة من سلبيَّات الأجهزة الحديثة ٢٦

**المحور الثَّالث: وقاية المجتمع**

هُويَّة المجتمع الإسلاميّ ٢٧
الهدف الأسمى للحياة الاجتماعيَّة ٢٧
واجب التَّصدِّي للمنكر ٢٧
خطورة الذَّنب بين السِّرّ والعلن ٢٩
المسؤوليَّة تجاه المنكر ليست محصورة بالأقارب ٣٠
كلكم راع وكلُّكم مسؤول ٣٠
من أينَ نبدأ؟ ٣١
ضرورة تطهير المجتمع من الملبس غير المحتشم ٣٢
البدء بإصلاح الفرد نفسه ٣٣
العمل الفرديُّ أم العمل الجماعيُّ؟ ٣٤
رسم الخطة وتوزيع العمل وفق القابليات ٣٥
المرابطة في خندق الإصلاح حتى النِّهاية ٣٥
الخاتمة ٣٦

# إطلالة

لا شكَّ أنَّ المجتمع الذي يتسلَّح بدينه ومبادئه، ويعيش الوعي والبصيرة إزاء كلِّ ما هو وافد ثقافيٌّ أو أخلاقيٌّ من خارج الحدود الإسلاميَّة، ويتعاطى مع الأمور بكلِّ حسم وحزم وفق منهج إلهيٍّ سيُشكِّل بذلك الضَّمانة الأكيدة إلى هُويَّته وأمَّته، وسيرنو ويتطلَّع بما يحمله من عقيدة راسخة نحو مستقبل زاهرٍ إلى تأكيد المبادئ والقِيم السّامية، وسيخطُّ أبجديَّة كلَّ ذلك - لا محالة - بمداد يخطُّ النُّور، ويبعث بين الخافقين السُّرور، وكلَّ ما من شأنه أنْ يرتقي بأمَّة (لا إله إلا الله) التي شمخت سواعدها، وقامت قواعدها على ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ...﴾[1].

وفي هذا الاتِّجاه جاء هذا الكتيِّب (إضاءات في وقاية النَّفس والأسرة والمجتمع)؛ ليلامس عنوان (موسم نداءات التَّوبة) الرَّابع ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ...﴾ - هذا الموسم الذي يأخذ على عاتقه كلَّ عام بلورة مفهوم الأوبة والإنابة التي يجدر أنْ يتترجم على أرض واقع الفرد والمجتمع تحضيرًا واستعدادًا للنُّفوس والأرواح لاستقبال شهر الغفران المبارك -، وليُسهم في وضع النِّقاط على الحروف، ويسلِّط الأضواء على ما ادلهمَّ، ويكشف النِّقاب عن بعض ما قد يُعكِّر صفو الحياة الإيمانيَّة التي اجتاح أهلَها شبحُ الغزو غير الأخلاقيِّ، كلُّ ذلك من أجل بلوغ الغاية والهدف المنشودَيْن الذي يدعو لهما الحقُّ بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

**المجلس الإسلاميّ العلمائيّ**

١. آل عمران: ١٩.
٢. الذاريات: ٥٦.

# مقدمة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[٣]

يحرص الإسلام العظيم - كل الحرص - على ربط الإنسان دائمًا بالقضيَّة المركزيَّة التي يجب أن يستحضرها في وعيه، ويترجمها في سلوكه، ويعطيها كلَّ الهمِّ والعناية وهي قضيَّة تهذيب نفسه، وأخْذِ الآخرين من حوله إلى هذا الطَّريق العظيم، ولم يهتم الإسلام - بل الرِّسالات كلّها - بشيء كالاهتمام بقضيَّة تهذيب النَّفس في ظلِّ معرفة الله تعالى وعبوديته حتى كانت الغاية السَّامية من الخلقة، والتي يجب أنْ تجعل الحياة كلَّها جسرًا إليها هي علاقة الإنسان بربِّه تعالى وعبوديته له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.[٤]

ومن هذا المنطلق، وكمساهمة متواضعة في «موسم نداءات التَّوبة»، وبلحاظ ما يعيشه الواقع من تدهور أخلاقيٍّ مخيف كان هذا المختصر الذي يحاول أنْ يُوقِد شمعة صغيرة في دجى الواقع.

لقد تمَّ تقسيم هذا المختصر إلى ثلاثة محاور كما يلي:

المحور الأول: وقاية النَّفس

المحور الثَّاني: وقاية الأسرة

المحور الثَّالث: وقاية المجتمع

وسيتم عرضها تباعًا، سائلًا الله تعالى التَّوفيق.

الشيخ فاضل دهنيم

---

٣. التحريم: ٦.

٤. الذاريات: ٥٦.

المحور الأول

# وقاية النَّفس

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[٥]

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ جلس رجلٌ من المؤمنين يبكي، وقال: أنا عجزت عن نفسي، وكلفت أهلي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسبك أنْ تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عمَّا تنهى به نفسك».[٦]

## • محوريَّة قضيَّة وقاية النَّفس

إنَّ قضيَّة «وقاية النَّفس» من النَّار – والتي هي تعبير آخر عن جهادها، وتهذيبها، وجعلِها دائمًا على خطِّ الله تعالى، وإبعادها عن كلِّ ما يستوجب غضبه، ويقرِّب من النار – لهي أهم قضيَّة يجب أنْ يُعنى بها الإنسان، ويُبقيها حيّةً حاضرةً على طول الخطِّ؛ لتتلوَّن بها حياته كلُّها، فكرًا، ومشاعر، وسلوكًا، وهي القضيَّة التي أُعطيتْ – وبكلِّ استحقاق – عنوان «الجهاد الأكبر»، وهي الميدان الذي إذا انتصر فيه الإنسان انتصر في كلِّ الميادين الأخرى، وهي السَّاحة التي إذا أشرق فيها نور الله تعالى وهدايته، ستشعُّ إشراقًا، ونورًا، وهدايةً على كلِّ السَّاحات الأخرى، فإذا أردنا أنْ نُصلح أسرنا، أو مجتمعنا، وأوضاعنا المريرة كلَّها، فلتكن نقطة البدء لتلك المنطلقات كلّها هي قضيَّة صناعة النَّفس، ووقايتها، فهي حجر الزَّاوية لكلِّ نهضة ناجحة، والأساس الذي يقوم من فوقه البناء، وبمقدار ما يكون الأساس متينًا محكمًا، سيكون البناء قويًّا.

قال (عزَّ وجلَّ) : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[٧]

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله بعث بسرية، فلما رجعوا قال: مرحبًا بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي الجهاد الأكبر.

قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟!

قال: جهاد النَّفس».[٨]

---

٥. التحريم: ٦.

٦. الكافي ٥/٦٢، الشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة ١٣٦٧ش، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران.

٧. العنكبوت: ٦٩.

٨. الكافي ٥/١٢، الشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة ١٣٦٧ش، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران.

وقال السيد الإمام الخامنئي (حفظه الله تعالى): «إنَّ إصلاح النُّفوس وتهذيبها، ونشر الأخلاق والفضيلة المعنويَّة في الوسط الإسلامي هي من واجبات المسلمين الكبرى، بل هو - في الحقيقة أيضًا - كفاح شاقّ، وجهاد مقدّس».[٩]

وفيما يلي ذِكْرٌ لبعض الأمور التي يجب تأمينها؛ لوقاية النَّفس، وبنائها، ووضعها على طريق الله تعالى، ومرضاته:

• **أساس العقيدة**

العقيدة الحقّة هي الأساس الذي يقوم عليه بناء شخصيَّة الإنسان، وبلونها يتلوَّن فكرها ومشاعرها، وسلوكها، وأخلاقها[١٠]، وكل كيانها. وبمقدار ما تترسخ العقيدة، وتتغلغل في أعماق النَّفس بمقدار ما تتماسك شخصيَّة الإنسان، وتقوى، وتتكامل وتشع، يقول الرَّاحل الشيخ محمد أمين زين الدِّين (رحمه الله تعالى): «... أؤكد وصيتي إليك بالعقيدة، فإنَّها القوَّة المركزيَّة الجاذبة التي تتماسك بها شخصيَّتك، فإذا ضعفت العقيدة، أو عُدِمتْ اضطربتْ الشَّخصيَّةُ، وانتثر نظامها».[١١]

وكما أنَّ العقيدة هي قوامُ شخصيَّة الفرد، وسرُّ نجاحه، هي - كذلك - عماد شخصيَّة المجتمع، وسرُّ قوَّته ومنعته، فـ «إنَّ السبيل لخلاص أيِّ شعب من قبضة الاستعمار، هو العقيدة الرَّاسخة الجذور في أعماق وجدان ذلك الشَّعب».[١٢]

وإنَّ العقيدة الحقّة هي التي تصوغ النَّظرة الصحيحة للوجود وخالقه، وللخالق وحقِّه، وللإنسان ودوره وغايته، وهي التي تصون الفكر من الأوهام والخرافات، وتنأى بالمشاعر عن القلق والشعور بعدم الانتماء[١٣]، هي التي تمدّ الإنسان بقوَّة جبّارة يبني بها حياته، ويشق بها أمواجها العاتية، ويجابه بها محنها الشَّديدة، فتراه الغارق في أعتى المصائب، وأدهى الفواجع، ولكنَّه يردد: «ما رأيتُ إلا جميلًا»![١٤]

نعم، في ضوء العقيدة الرَّاسخة يرى الإنسان أنَّ الله تعالى هو الفاعل، والمؤثِّر الحقيقيّ في

---

٩. الإسلام المحمدي، السيد القائد الخامنئي (دام ظله)، ص٦٠١.

١٠. يقول الشهيد مطهري (رحمه الله تعالى): «إنَّ أول أثر للإيمان أنَّه سند للأخلاق، أي أن الأخلاق - وهي بذاتها من رؤوس الأموال الكبيرة - لا يكون لها أساس وقاعدة بغير الإيمان.

إن أساس جميع الجذور الأخلاقيَّة، ومنطلقها، بل إنَّ سلسلة المعنويَّات برمتها مبنيَّة على الإيمان الدّينيّ، أي الإيمان بالله والاعتقاد بوجوده». محاضرات في الدين والاجتماع، الشهيد مطهري (قده)، ص٢٧٣.

١١. إلى الطليعة المؤمنة، الشيخ محمد أمين زين الدين (قده)، ص١٣٢.

١٢. الكلمات القصار، الإمام الخميني (رحمه الله تعالى)، ص١٣٤.

١٣. "يشعر الكثير من الناس بأن حياتهم خاوية وبلا معنى، على الرغم من أنَّهم يبدون سعداء وأغنياء وناجحين، وعلى الرغم مما حقّقوا من نجاح دنيوي ومادي، وذلك لأنَّ أهدافهم في الحياة تفتقر إلى التصوُّر، والنظر إلى ما وراء الحياة المادية، وهذا الشعور" بأنَّ الحياة تحتوي على أشياء أخرى أكثر أهمية" يقود الكثير من الناس إلى إعادة تقدير وتقييم حياتهم، بل وتغييرها تغييرًا جذريًا" قوة الذكاء الروحي، توني بوزان، ص٧٩.

١٤. اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس (قده)، ص٩٤، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، أنوار الهدى، قم - إيران.

هذا الوجود، وأن لا شـيء يمكنه تحريك ذرة في مملكـة الله تعالى من دون إذنه، وأنَّ حكمة الله تعالى هي التي قدّرت أقدارها، فكم تطمئنُّ النَّفس، ويَخلص السَّعي، وتثبت الخطى إذا انطوى القلب على هذه الحقيقة؟

عـن النَّبـيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «احفـظ الله يحفظك، واحفظ الله تجـده أمامك، تَعَـرَّف إلى الله (عزَّ وجلَّ) في الرَّخاء يعرفك في الشِدّة.

إذا سـألتَ فاسـأل الله، وإذا اسـتعنتَ فاسـتعن بالله (عزَّ وجلَّ)، فقد مضى القلم بما هو كائـن، فلو جهـد الناس أنْ ينفعـوك بأمرٍ لم يكتبه الله لـك لم يقدروا عليه، ولـو جهدوا أن يضرّوك بأمرهم لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه...».[١٥]

نعم، هكذا تصـنع العقيدة الإنسان، وتصـوغ نظرته الهادفة للحياة، فتتكسر عند قدميه كلُّ صـعابها، لأنَّـه يرى الحيـاة هادفة، ذات غاية سـامية، وما هي إلا معبر لـدار أخرى خالدة باقية، يتحدَّد المصير فيها بما يكتبه الإنسان في صحيفته في هذه الحياة الفانية.

وإذا كانـت العقيدة بهـذه المثابة من الأهميـة، والأثر العظيم، فحريٌّ بالمؤمـن أنْ يهتم بها، وبغرسها في فكره، وقلبه، وترجتمها بسلوكه؛ فذلك وحده طريق النَّجاة.[١٦]

أما المنبع الصَّافي لهذه العقيدة، فهو ليس إلا عند الأمناء على حلال الله تعالى وحرامه وهم الفقهاء المأمونون، الذين أرجَعَنَا إليهم الأئمَّةُ المعصـومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في عصر الغَيبة الكبرى، ثم مَن أخذ عنهم بفهمٍ وأمانة.

### • العلم الواجب

مَن يريد أنْ يسلك الطَّريق بأمان، فلا بد له من معرفة كافية به، أو دليل يرشده، وهكذا هي الحياة، فهي طريقنا الشَّاق الطَّويل إلى الآخرة، والذي يزدحم بقُطَّاع الطَّريق، وعلى رأسهم ذلك العدو المبين (لعنه الله تعالى)، الذي أقسم أنْ يغوي بني آدم: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١٧]، وأنَّه سـيقعد لهم على الصِّـراط المسـتقيم: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ❖ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾.[١٨]

---

١٥. من لا يحضره الفقيه ٤١٢/٤ – ٤١٣، الشيخ الصدوق (قده)، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم – إيران.

١٦. «ونتيجة للدراسات التي أجريتها حول ما يطلق عليه التعاليم الروحية والعلوم العقيلة المختلفة فأنا مقتنع تمامًا بأنها جميعًا فاعلة، ولكن فقط وفقًا لمدى تصديق أتباعها، سواء أخذ هذا اليقين شكل الصلاة أم تضرّع الفرد التلقائي، والخالص لوجه الله، ومع ذلك أجد أنه لا مفرَّ من النتيجة التي تفيد بأنَّ كثيرًا من الناس يكتفون بتحريك شفاههم أثناء الدعاء دون اعتقاد بأن تلك الدعوات سيستجاب لها، وعليه لا يستجاب لهم. سحر اليقين، كلود إم. بريستول، ص٤٦.

١٧. ص: ٨.

١٨. الأعراف: ١٦ – ١٧.

والشَّـريعة المطهّـرة هي تعليمات هـذا الطَّريق، الـذي إذا التزم به الإنسـان، قطع الطَّريق بأمان، وعرف كيف يتخلَّص من هذا العدو وغيره؛ فلا يسـع الإنسـان الجهل بما يجب عليه معرفته منها.

ومن هنا فيجب على الإنسان أنْ يعرف حكم الأمور التي هي مورد ابتلائه، كالصَّلاة، وكيفيَّة معالجة الشُّكوك، والخلل، والوضوء، والأغسال الواجبة على الرَّجل والمرأة، والحقوق الماليَّة، وما شابه من أمور ابتلائيَّة يؤدِّي الجهل بها إلى الوقوع في المخالفة.

عـن أبـي جعفر عليه السلام قال: «سـارعوا في طلب العلم، فوالذي نفسـي بيـده لَحَديثٍ واحد في حـلال وحرام تأخذه عن صـادق خـير من الدُّنيا وما حملت من ذهب وفضـة، وذلك أنَّ الله يقول: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...﴾[19]»[20]، ولا يمكن أخذ ما آتى الرَّسول صلى الله عليه وآله، والانتهاء عما نهى دون معرفته.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «لا يشغلك طلب دنياك عن طلب دينك».[21]

كذلك فإنَّ الإنسـان مطالب بأنْ يأخذ ثقافته الإسـلاميَّة، ومفاهيمها مـن الفقهاء والعلماء المأمونين، أو مَن يأخذ عن مدرسـتهم؛ لئلا يتبنَّى أفكارًا تتناقض والإسـلام دون أنْ يشـعر بذلك.

### • الالتزام بالشَّريعة

بمـا أنَّ الإيمان هو «العلم بالشـيء مع الالتزام به بحيث يترتب عليه آثـاره العملية»[22]، فإنّ العمل الصـالح، والالتزام بأوامر الشَّـريعة ونواهيها هي النَّتيجة الطبيعيَّة لصدق الاعتقاد، وتأثير الإيمان، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْـرِ ❖ إِنَّ الإِنسَـانَ لَفِي خُسْـرٍ ❖ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ وَتَوَاصَـوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَـوْا بِالصَّـبْرِ﴾[23]، فالإيمان من دون العمل الصَّالح لن ينجي من الخُسْر، ولن يقي من النار – والعياذ بالله تعالى –.

ومن هنا نجد أنَّ القرآن الكريم كلما ذكر الإيمان أتبعه بالعمل الصَّالح، فمن دونه لن تتحقق النَّجاة، والفوز في دار القرار.

---

١٩. الحشر: ٧.

٢٠. المحاسن١/٢٢٧، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، سنة الطبع ١٣٧٠هـ- ١٣٣٠ش، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران.

٢١. المحاسن ١/ ٢٢٨، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، سنة الطبع ١٣٧٠هـ - ١٣٣٠ش، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران.

٢٢. الميزان في تفسير القرآن ٢٦/ ٢٦٤، العلامة الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة – إيران.

٢٣. العصر: ١-٣.

عن الإمام الباقر عليه السلام : «...لا معرفة إلا بعمل، ومَن عرف دلّته معرفته على العمل...». [1]
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الإيمان معرفه بالقلب، وإقرار باللّسان، وعمل بالأركان». [2]

**أ- إتيان الواجبات:** وبناء على ما تقدم، فلا يسع الإنسان المؤمن أنْ يهمل أيَّ واجبٍ من الواجبات الشَّرعيَّة، أو يتخلَّف عن الالتزام به. ومن المؤسف أنْ تجد بعضنا حريصًا على العبادات كالصَّوم، والصَّلاة، والحجِّ، والخمس، وما شابه، بينما يتخلَّف عن «الواجبات الأسريَّة»، فلا يصل رَحِمَه مع أنَّ صِلة الرَّحم من الواجبات المهمّة، وقطيعة الرَّحم من الذُّنوب الكبيرة الموبقة، أو يقصِّر في واجباته تجاه زوجته، وأبنائه!

وقد تجد مَن يصوم الصَّوم المستحب، ويواظب على النوافل، وبعض المستحبات بينما يتخلّف عن «الواجبات الاجتماعيَّة» كإعانة الفقراء والمحتاجين، أو يتهاون في وظيفة الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى، فلا تجد لها في حياته عينًا ولا أثرًا!

وهذا من الأخطاء الجسيمة، والفهم المغلوط للدين الذي أراد للإنسان المسلم أن يلتزم بكل ما فرضه الله تعالى عليه دون تفريق بين واجب وآخر؛ ليعبِّر بذلك عن خضوعه التام لمولاه وولي نعمته تبارك وتعالى، الذي يريده أن يطيعه من حيث يريد هو تعالى، لا من حيث يريد عبده.

**ب - اجتناب المحرَّمات**

ما تقدم من كلام كان يتناول التزام الشَّريعة في إتيان واجباتها، ولا يكمل ذلك إلا باجتناب محرماتها ونواهيها ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [3].

وقال تعالى - أيضًا -: ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [4]، فالإيمان الحقيقيُّ المنجي من العقاب الإلهي هو الإيمان الذي يثمر التقوى، ويُنتِج الورع عن المحرَّمات.

ويكفي لبيان محوريَّة هذه المسألة أن يلقي أحدنا نظرة سريعة على كتاب الله تعالى، وروايات المعصومين عليهم السلام؛ ليجدَ أنها أم الوصايا، والأساس الذي تبتني عليه كمالات الإنسان، وأنه

---

١. تحف العقول، ص٢٩٤، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ- ١٣٦٣ش، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة – إيران.

٢. عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢/٢٠٤، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، سنة الطبع ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

٣. الأنعام: ١٢٠.

٤. المائدة: ٥٧.

من دونها لن يتقدم الإنسان خطوة واحدة باتجاه القرب من الله تعالى.[٥]
قال تعالى: ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٦]. وقال (عزَّ وجلَّ) - أيضًا -: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.[٧]
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر، كن بالعمل بالتّقوى أشدَّ اهتمامًا منك بالعمل...».[٨]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «اجتناب السيئات أولى من اكتساب الحسنات».[٩]
وهي الوصية التي يؤكد عليها كلُّ علماء الأخلاق، وأرباب القلوب، قال الشهيد الثاني (رحمه الله تعالى): «أول ما أوصيك به تقوى الله تعالى فيما تأتي وتذر، فإنَّها وصية رب العالمين إلى الأولين والآخرين، قال جلَّ جلاله في محكم كتابه: ﴿... وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ...﴾[١٠]، وهذه الوصية أجمع كلام للخير وأوجزه، ومن ثم خصها بالذكر وعمّها بالنظر إلى الموصى من خلقه من الأولين والآخرين، فلو كان من خصال الخير خصلة أصلح للعبد، وأجمع للخير لكانت عناية الله تعالى ورأفته بخلقه تقتضي ذكرها دونها، أو معها».[١١]

وقال الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب (رحمه الله تعالى): «الطريق الوحيد للوصول إلى درجات السعادة، والطريق الوحيد للنجاة من الهلكة والشقاء هو التقوى والورع».[١٢]

أما السبيل إلى التَّقوى، فهو بترسيخ المعرفة بالله تعالى وصفاته[١٣]، واستشعار الفقر والحاجة إليه تعالى، واستحضار اطِّلاعه تعالى على أعمال العبد، ومعرفة خطر الجناية بمعصيته، وترويض النفس، ومراقبتها، ومحاسبتها، «الإيمان يعني أن تعي قلوبكم، وتصدق

---

٥. قال الإمام الخميني (رحمه الله تعالى): «لا بُدَّ أن نعرف أن التقوى، وإن لم تكن من مدراج الكمال والمقامات، ولكنّه لا يمكن بدونها بلوغ أي مقام، وذلك لأن النفس ما دامت ملوثة بالمحرمات، لا تكون داخلة في الإنسانية، ولا سالكة طريقها». الأربعون حديثاً، ص٢٠٠.
٦. الحجرات: ١٣.
٧. البقرة: ١٩٧.
٨. بحار الأنوار٧٤/ ٨٦، العلامة المجلسي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة المصححة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
٩. عيون الحكم والمواعظ، ص ١٢٥، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى، طبع ونشر: دار الحديث.
١٠. النساء:١٣١.
١١. وصية نافعة، الشهيد الثاني، تحقيق رضا المختاري، ص٢٠٧، عن مجلة ترثنا، العدد١٤.
١٢. الذنوب الكبيرة، الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب (رحمه الله تعالى): ١/ ٢٣.
١٣. "إنَّ من يملك المعرفة بالله، يصير قلبه مطيعاً له، ويكون شغله وارتباطه به تعالى، ويعمل بما يعلم أنه موافق لرضاه، ويتوقف فيما لا يعلم إلى أن يعلم" الشيخ محمد تقي بهجت (رحمه الله تعالى)، مدرسة الشيخ بهجت، لجنة ترجمة ونشر آثار الشيخ بهجت:٢/ ٢١١-٢١٢.

تلك الأمور التي أدركتها عقولكم، وهذا يحتاج إلى المجاهدة حتى تفهم قلوبكم أن العالم كله محضر لله، فنحن الآن في محضر الله، ولو أدرك قلبنا هذا المعنى بأنّنا الآن في محضر الله، هذا المجلس محضر الله، ولو وجد قلب الإنسان هذا الأمر، فإنّه سيبتعد عن جميع المعاصي إذ أنَّ سبب جميع المعاصي أنَّ الإنسان لم يجد هذا الشيء».[١٤]

• **الإخلاص لله تعالى**

ولا بد أن تكون سائر أعمال الإنسان، وتروكه خالصةً لله تعالى، وإلا كانت سببًا للعناء والشقاء، لا الفوز والنجاة، فعن الإمام علي عليه السلام: «بالإخلاص يكون الخلاص»[١٥]، وتعظم الخسارة جدًّا حين نعلم بأن الإنسان إذا عمل لغير وجه الله تعالى، فلا يقتصر الأمر على حرمانه من الثواب، بل إنه يستحق العقاب على ذلك، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «كل رياء شرك، إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله».[١٦]

«ويل لأهل الطاعة، والعبادة، والعلم، والديانة، الذين عندما يفتحون أبصارهم، ويقيم سلطان الآخرة قدرته، يرون أنفسهم من أهل كبائر المعاصي، بل وأسوأ من أهل الكفر والشرك، بحيث إنَّ صحيفة أعمالهم تكون أشد سوادًا من صحائف الكفار والمشركين!

الويل لمن يدخل بصلاته وطاعته جهنم!، الويل لمن تكون صورة صدقته وزكاته وصلاته أبشع مما يمكن تصوره!

أيها المسكين المرائي، أنت مشرك، وأما العاصي فموحِّد.

إنَّ الله يرحم بفضله العاصي إن شاء، لكنه يقول إنه لن يرحم المشرك إذا رحل من الدنيا بدون توبة».[١٧]

وممَّا يقصم الظهر في هذا المجال ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «مَن كان ظاهره أرجح من باطنه خفَّ ميزانه».[١٨]

وما تقدم كله لا يصح أن يؤدي بالإنسان إلى الوسوسة، فيترك الأعمال الصالحة خشية الوقوع في الرياء، فإنَّ نفس هذا الخوف من الناس، ووجهة نظرهم إنما هو وقوع في المحذور

١٤. منهجية الثورة الإسلامية، مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني (قده)، ص٢٢٤.

١٥. الكافي ٢/٤٦٨، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ش، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران.

١٦. الكافي ٢/٢٩٣، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ش، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران.

١٧. الأربعون حديثًا، الإمام الخميني (قده)، ص٦٠-٦١.

١٨. الأمالي، ص٥٨٠، الشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

الذي فرَّ منه الإنسان، «أنتم تحبون البكاء على أنفسكم، ولكنكم تتركون هذا خجلًا، والله يأمرنا أن لا نترك هذا الأمر حياء.

إنْ كنتم تحبون العبادة تعبّدوا، ولا يقولن أحدكم إنني إذا صلّيت ركعتين سيقول الآخرون عني: هذا مراء، فليقولوا ذلك، وليرتكبوا هم الخطأ، ولكن لا ينبغي أن تتركوا هذا العمل بسبب الناس».[١٩]

هذا، ويحتاج الإنسان في خضم هذه الحياة الشاقّة، والرحلة الطويلة، المملوءة بالأخطار وقواطع الطريق إلى الله تعالى أن يذكّر نفسه دائمًا بحقيقة هذه الدنيا الفانية، والتي هي دار ممرّ لدارٍ باقية خالدة يتحدّد مصير الإنسان فيها بأعمال الإنسان في هذه الدار، وأنْ يتسلّح باليقظة التامّة، ويوقن بأن أية غفلة تعتريه في خضمّ ذلك، قد تكلّفه كثيرًا، وتوقِعه فيما لم يكن ليظنَّ أنه سيقع فيه في يوم من الأيام أبدًا، فالغفلة هي أسُّ الشقاء، ورأس كل بلاء، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[٢٠]

وقال جَلَّ جَلَالُهُ أيضًا: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.[٢١]

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إيَّاكم والغفلة، فإنما من غفل فإنما يغفل على نفسه».[٢٢] عن الإمام الباقر عليه السلام: «...، وتحرَّز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقُّظ، واستجلب شدة التيقُّظ بصدق الخوف...، وإيَّاك والغفلة (فـ) فيها تكون قساوة القلب...».[٢٣] والاستعانة على ذلك - بعد الاستعانة بالله تعالى، وبعد التوسّل بأبوابه المعصومين عليهم السلام إليه - إنما يكون بدوام المراقبة، ومحاسبة النفس، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَن حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر».[٢٤]

---

١٩. المواعظ الحسنة في السلوك المعنوي، السيد القائد الخامنئي (دام ظله).

٢٠. الأعراف: ١٧٩.

٢١. الأعراف: ٢٠٥.

٢٢. المحاسن ١/٩٦، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، سنة الطبع ١٣٧٠هـ- ١٣٣٠ش، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.

٢٣. تحف العقول، ص٢٨٥، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ- ١٣٦٣ش، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة - إيران.

٢٤. خصائص الأئمة، ص١١٨، الشريف الرضي، تحقيق: محمد هادي الأميني، سنة الطبع ١٤٠٦هـ، مجمع البحوث الإسلامية، الآستانة الرضوية المقدسة، مشهد - إيران.

وليبــادر بـكل جدّية ونـدم؛ لتجديد التوبة، وإصــلاح الخلـل، عند كل معصــية، وما دامت الأنفاســ تتردّد، ومادام الشـيطان وأعوانه موجودين، فلا يصــح أن يخلد الإنســان للراحة حتى يغادر هذه الحياة بسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المحور الثّاني

# وقاية الأسرة

**• أهمية الأسرة وخطورة دورها**

تشكِّل الأسرة أساس بناء المجتمعات، وحجر زاويتها، وعماد نهضتها، وهي المؤشر الحسّاس الذي يقاس من خلاله صلاح المجتمع أو فساده، قوته أو ضعفه، تماسكه أو انفصام علائقه، وهي العيِّنة الدالة على وُجهته وهويته.

إنَّ الأسرة إذا صلحت، كانت المحضن الدافئ الأمين؛ لرفد المجتمع والإسلام بمشاعل الهداية، وعوامل القوة، وطاقات البناء، وهي التي إذا فسدت - والعياذ بالله ﷻ - كانت البؤرة التي ينفذ منها الشيطان وأعوانه؛ لبث السموم، والأَوْبِئة في جسد المجتمع، والقضاء عليه.

«إذا كان كيان الأسرة متينًا في المجتمع، وراعى كلٌّ من الزوج والزوجة حقوقَ بعضهما، وكان لهما أخلاق حسنة، وانسجام مع بعضهما، وواجهوا المشاكل معًا، واهتموا بتربية أطفالهم، فإن المجتمع الذي تكون فيه هكذا أُسر سيصلح، وسيصل إلى ساحل النجاة، وإذا وُجد مُصلح في هكذا مجتمع، فإنَّه سيتمكّن من إصلاحه، وإذا لم توجد الأسرة فإن أكبر المصلحين لا يمكنه إصلاح المجتمع».[٢٥]

**• وجوب حماية الأسرة ووقايتها**

ونظرًا لذلك الدور المحوري للأسرة، فقد اهتم الإسلام اهتمامًا عظيمًا بضرورة إشادة هذا الكيان الصغير، وبنائه وفقًا لتعاليم الرسالة المحمدية، وأوجب حمايته ووقايته؛ ليكون القلعة الحصينة للإسلام، والخزّان الذي يمدّه برجاله الأوفياء؛ ليصاغَ الواقع كلّه في ضوء رسالة السماء.

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[٢٦]

٢٥. انطلاقة المودّة، السيد القائد الخامنئي (دام ظله)، دار الولاية للثقافة والنشر، ص٢٤.
٢٦. التحريم: ٦.

فهنا وظيفة شرعية لا تقل أهمية عن الكثير من الواجبات الأخرى بلزوم وقاية النفس والأهل من النار التي وقودها الناس والحجارة، وإنَّ التخلّف عن هذه الوظيفة الشرعية لمعصية تستوجب المؤاخذة، كما هو الحال في التخلّف عن الواجبات الأخرى.

عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنَّ الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه، أَحَفظ ذلك أم ضيّعه، حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته».[٢٧] فهناك مسؤولية على الإنسان تجاه أهل بيته لا يسعه التفريط فيها.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، جلس رجل من المسلمين يبكي، وقال: أنا عجزتُ عن نفسي، كلفت أهلي!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسبك أنْ تأمرهم بما تأمر به نفسَك، وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك».[٢٨]

يقول آية الله الشيخ مظاهري (حفظه الله تعالى): «إنَّ تربية الأبناء من وجهة نظر القرآن، وروايات أهل البيت عليهم السلام واجبة، بل واجب مؤكّد، وإثم اللامبالاة بهذا الأمر عظيم جدًّا، وخسرانه الدنيوي والأخروي عظيم – أيضًا –، ويجب الانتباه إليه».[٢٩]

والذي يزيد من عظم المسؤولية أنَّ إهمال هذا الواجب، أو التفريط فيه سينعكس سلبًا – كما تقدم – على نفس المجتمع الذي سينزل إليه أولئك الأبناء الذين سوف تخرّجهم أسرُنا، قال الإمام الخميني (رحمه الله تعالى): «يجب أن تنتبهوا على أنَّ تربية هؤلاء الأطفال الذين تشرفون على تربيتهم يجب أنْ تكون تربية دينية وأخلاقيَّة، فإذا قدّمتم للمجتمع طفلًا متدينًا، فقد ترون أن نفس هذا الطفل المتديّن الملتزم سوف يُصلح المجتمع، وبالعكس فيما لو – لا سمح الله تعالى – تخرّج من تحت أيديكم – أنتم المعلّمون – ضالًّا، فقد يُفسِد المجتمع، وسوف تكونون أنتم المسؤولون».[٣٠]

فكم يظلم أحدُنا نفسَه، ومجتمعَه، ودينَه حين يفرِّط في تربية أبنائه، وحفظ أسرته مع كل هذا التأكيد الإسلاميّ الكبير، ومع ما للمسألة من دور خطير جدًّا في صناعة الأجيال وحفظ الإسلام؟!

---

٢٧. ميزان الحكمة ٢/١٢١٢ – ١٢١٣، محمد الريشهري، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، طبع ونشر: دار الحديث.

٢٨. الكافي ٥/٦٢، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ش، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران.

٢٩. تربية الطفل في الإسلام، الشيخ مظاهري، ص١٩.

٣٠. الاستقامة والثبات في شخصية الإمام الخميني، الشيخ كاظم ياسين، ص ٢٧.

• **حقيقة التربية الإسلاميَّة**

إنَّ التربية في الإسلام عملية متكاملة تُعنى بحاجات الإنسان الروحيَّة والجسديَّة، وهي عمليَّة بناء متوازنة دقيقة تلحظ الأهم، والمهم، والغاية، والوسيلة، تهدف - في الأساس - إلى صناعة إنسانيَّة الإنسان، وتعبيده لله تعالى، وتأمين مستقبله وفوزه الأخرويّ، إلا أنَّها لا تغفل - في الوقت ذاته - حاجات الإنسان الجسديَّة والدنيويَّة المشروعة.

فمن الخطأ جدًّا أنْ تُحصر التربية في تأمين المسكن والملبس والطعام والشراب، وتأمين المستقبل الدنيوي، وما شابه، فذلك كله - إذا كان في ضمن حدوده البنّاءة - جزء من عملية التربية، ولكنَّ الجانب الأهم، والذي تُشكِّل الجوانب الأخرى وسائل للوصول إليه، والذي ينبغي أن يُبذل فيه الجهد الأكبر لهو بناء الذات والعقيدة والفكر والأخلاق، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ خير ما ورّث الآباء لأبنائهم الأدب لا المال، فإنّ المال يذهب والأدب يبقى...»[٣١].

• **فنُّ إدارة الأسرة والتربية**

من الأمور المهمة التي يمكن أن تسهم بشكل كبير في نجاح الأسرة، وعملية التربية هي معرفة أحكام وآداب وفنون العلاقة الزوجية، وإدارة الأسرة، وأساليب التربية الإسلامية الصحيحة، ويتأكد الأمر، ويكون أكثر إلحاحًا في ظلِّ كل هذه التحوُّلات والتَّعقيدات التي أنتجت عوامل كثيرة، وأدخلت على الخط منافسين متعدِّدين يتسابقون على سرقة أسرنا، أو بعض أفرادها وضمِّها إلى صفوفهم الضَّالة.

فالتِّلفاز، والصَّحافة، والمجلات، والإنترنت، والسينما، والمقاهي، ورفاق السوء، وواقع المدارس، والجامعات، والأسواق، وإساءة استثمار بعض المناسبات، وغير ذلك كلها تسرق منَّا أبناءنا وبناتنا، بل تسرق - أحيانًا - حتى الآباء والأمهات مع شديد الأسف!

وهذا ما يجعل الحاجة ماسّة لضرورة التثقيف الإسلامي في مجال العلاقات الزوجية، وإدارة الأسرة والتربية خصوصًا حين نعلم بأن الكثير من حالات الطلاق، أو تصدّع الكيان الأسري، أو تصحّر الجانب العاطفي بين أفراد الأسرة مردّها إلى جهل كلّ طرف بحقوقه وواجباته التي شرّعها له الإسلام؛ من أجل حفظ هذا الكيان المقدس، وأنَّ بعض حالات الانحراف عند الأبناء والبنات تعود لجهل الآباء أو الأمهات بما يجب عليهم تجاه أبنائهم.

---

٣١. الكافي ٨/١٥٠، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ش، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.

ومن المفيد في هذا الصدد أنْ تُقام دورات تثقيفيَّة للمقبلين على الزواج من قبل مؤسساتنا الإسلاميَّة المأمونة، أو الدعاة الصالحين من ذوي العلم والحكمة، تتناول كافة الجوانب التي سيحتاجها الزوجان؛ من أجل بناء أسرة إسلامية ناجحة.

وربما كان من النافع أن نشير هنا إلى أنَّ التثقيف لا بد أن يركِّز على توضيح الهدف السامي المقدس من تكوين الأسرة، وكيفية بناء علاقات زوجية إنسانيَّة إيمانيَّة قويمة، وعلى سُبل بناء ذات الإنسان، وكيفيَّة تخريج أبناء صالحين أكثر ممَّا يتناول «فنون اللقاء الخاص جدًّا» بين الزوجين، والذي صار «موضة» في الكثير من الدورات التي قد تخلط الغثَّ بالسمين، وتتجاوز بعض الأحكام الشرعيَّة التي تتناول ذلك الجانب؛ من أجل تأمين أقصى متعة جسديَّة بأية طريقة!

فالثقافة الإسلامية الناضجة فيما يتعلق بهذا الجانب، والاطلاع على الخبرات التربويَّة السليمة باتت حاجة ملحّة؛ لوقاية كيان الأسرة، وأخذه على خط الرسالة.

- **التَّخطيط والتَّفاهم بين الوالدين**

ومن هنا فلا بدَّ للعمليَّة التربويَّة التي يراد لها النجاح أن لا تنطلق بشكل ارتجالي دون تفاهم بين الزوجين على أهدافها، وأساليبها، وكيفيَّة توزيع الأدوار فيها، فإن ذلك سيؤدي - بلا شك - إلى التشويش في الرؤية، والإرباك، أو التضارب في التطبيق، وقد يجرُّ إلى منعطفات خطيرة قد تنفجر عند أول مأزق تمرُّ به الأسرة، أو بعض أفرادها.

«إن امتلاك الأسرة المسلمة لرؤية جيدة لأوضاعها، وواجباتها، وحاجاتها، والفرص المتاحة لها، بالإضافة إلى رؤية جيدة لعصرها، يشكِّل في الحقيقة أساس حركتها ونموها.
إنَّها من خلال الرؤية تعرف كيف تنطلق، وماذا تريد، وتعرف مواطن الخلل في بنيانها، كما تعرف ميزاتها ونقاط قوتها.

إنَّ الرؤية تشبه خارطة الطريق تارة، وتشبه دليل التشغيل الذي ترفقه الشركات الصانعة مع منتجاتها تارة أخرى.
الرؤية ذلك الإطار المكوّن من المبادئ، والقِيم، والمفاهيم، والخطوط، والملاحظات العامة...».[٣٢]

٣٢. التربية الرشيدة -١/ مسار الأسرة، أ.د. عبد الكريم بكّار، ص١٠.

ويتأكد هذا التنسيق في الحالات الطارئة التي تفرض التشاور المستمر والمتابعة المتواصلة كما في حالات بروز خلل سلوكي، أو فكري يضطر معه الوالدان إلى مزيدٍ من المتابعة، والعناية الخاصة، وتنسيق خطوات العلاج، وعدم الارتجال؛ لئلا تتضارب ردود الفعل والتوجيهات من قبل الوالدين، فيجد الأبناء ثغرةً في مساحة الخلاف بين الوالدين يتملّصون عبرها من الالتزام بالتوجيهات، وقد يؤدي ذلك لتحويل وجهة المشكلة من الأبناء إلى نفس الوالدين اللذين اختلفا أمام الطفل، وسيزيد الأمر سوءًا حين ينتقد كل منهما رأي الآخر أمام الأبناء مما سيُضعف موقفهما والثقة فيهما معا.

فلا بد من أن يُسنِد كلٌّ من الوالدين بعضهما البعض، وأن يتفقا على رأي مسبقًا، وينسّقا مواقفهما، ويوزّعا الأدوار بكل دقة، وتفاهم؛ لتعبر سفينة الأسرة إلى شاطئ الأمان.

**• الجوُّ الأسريُّ الدافئ**

بمقدار ما يكون الجو الأسري دافئًا، آمنًا، يفيضُ بالحنان، ويزخر بالتفاهم، يشعر فيه كلُّ فرد بأنه عضو أساس في جسد واحد، بمقدار ما يهيِّئ ذلك الأرضية الصالحة؛ لتكامل جميع أفراد الأسرة من زوجين وأبناء.

وإنَّ من أهداف تكوين الأسرة أن يحصل فيها الإنسان على «السَكَن» الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[٣٣]
فإذا تحقّقت حالة السَكن بين الزوجين، فإن ذلك سينعكس على الأبناء بما يعيشونه من جوٍّ هادئ آمن يفيض بالمودَّة والرَّحمة.

ولقد وردت روايات عديدة في الحثِّ على إشاعة هذه الأجواء الدافئة داخل الأسرة، وإظهار الحب عمليًّا، وترجمته بأساليب متعدِّدة، منها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الله ليرحم العبد لشدة حبّه لولده».[٣٤]
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قَبَّل ولده كتب الله (عزَّ وجلَّ) له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة...».[٣٥]

---

٣٣. الروم: ٢١.
٣٤. الكافي ٦/ ٥٠، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ش، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران.
٣٥. الكافي ٦/ ٤٩، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ش، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران.

وما أروع ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الجانب في وصيته المشهورة لابنه الحسن عليه السلام والتي يقول فيها: «بُني... وجدتك بعضي، بل وجدتُك كلّي حتى كأن شيئًا لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي...».[٣٦]

وهذا شأن العلاقات الأُسرية - بل والاجتماعية الإيمانية - التي ينبغي أن تُبرز فيها المشاعر الإيجابيَّة تجاه الآخرين؛ من أجل أن تترسّخ، وتنمو، وتُثمر.
إنَّ الأبناء الذين يعيشون الرواء الوجداني، والإشباع العاطفي سيتمتعون بشخصيات سويَّة قويَّة، شخصيات تشعر بالأمن والراحة والسعادة.

وإنَّ الأبناء الذين يفقدون هذا الجانب ستعيش نفوسهم فراغًا مرًّا يمكن أن ينفذ منه الضَّالون؛ ليفسدوا النشء، فالفتاة التي لم تسمع من والدتها أو والدها كلمات الحب، والحنان، ولم يشعرها الجوُّ الأسري بوجودها وأهميتها قد تسقط عند أول كلمة تقدير تسمعها من شاب أجنبي، وقد تنخدع عند أول طُعم يُلقى إليها عبر كلمات الحب وما شابه، ولذلك فإنَّ من أسباب انحراف بعض الأبناء هو فقدان هذا الجانب فـ «... إنَّ نسبة كبيرة من المنحرفين والمحرومين تعود إلى عوائل مشتَّتة مبعثرة قد انفصمت عراها...».[٣٧]

وتؤكد الدراسات التربوية التخصصيَّة على أهمية تأمين هذا الجانب حيث تقول: «... من الأهمية خلق بيئة من الحب في البيت، بيئة يكون فيها الأمان والانفتاح، في الحقيقة يتفق - تقريبًا - جميع الخبراء - في مجال الزَّواج، والعلاقات الأسريَّة، ونمو الطفل - على أن خلق هذه البيئة الدافئة، والداعمة، والمشجِّعة ربما يكون أهم شيء يمكن أن تقوم به تجاه أسرتك».[٣٨]
«إنَّ الليلة العائليَّة فرصة عظيمة للمشاركة في مبدأ هام مع أطفالنا، هذه الليلة سوف نتذكرها جميعًا».[٣٩]
فالجوُّ العاطفيُّ ضرورة تربوية لا بد أنْ نتقن ممارستها بتوازن؛ من أجل أن نهيِّئ الأرضية لغرس العقيدة القويمة، والمشاعر النظيفة، والسلوك الإسلامي السَوي.

---

٣٦. نهج البلاغة ٣/٣٨، خطب الإمام علي عليه السلام، شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٣٧٠ش، دار الذخائر، قم - إيران.
٣٧. النظرة القرآنية للمجتمع والتأريخ، الشيخ محمد تقي مصباح، ص٣٩٣.
٣٨. العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ستيفن كوفي، ص٢٤٧.
٣٩. العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ستيفن كوفي، ص١٧٤.

• **في مدرسة الوالدين (القدوة الحسنة أو السيئة)**

من أبرز العوامل التي يمكن أن تؤمِّن الأرضية المناسبة؛ لصلاح الأبناء هي صلاح نفس الوالدين، وما يحملانه من عقيدة وفكر، وما يمارسانه من سلوك يعايشه الأطفال، أو يشهدونه.

ولقد سبق الإسلام العظيم الجميع في التنبيه إلى أهمية وخطورة دور الوالدين، ومدى تأثيرهما الكبير على الأبناء سلبًا أو إيجابًا، فعن النَّبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله قوله: «كل مولود يولد فهو على الفطرة، وإنما أبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه».[٤٠]

وهذه حقيقة تؤكِّدها الدراسات التربوية المعاصرة، ومن أوضح ما كُتب في هذا المجال هو ما جاء في كتاب (الأطفال يتعلمون ما يعايشونه) حيث جاء فيه ما نصه: «الأطفال مثل الإسفنج يتشربون كلَّ ما نقوله، أو نفعله، فهم يتعلمون منَّا طوال الوقت سواء أدركنا أننا نعلّمهم أم لا».[٤١]

وجاء فيه – أيضًا –: «إنَّ الأطفال يتعلّمون من والديهم باستمرار، فإن أطفالك ينتبهون إليك بشدّة، وربما لا يهتمون بما تخبرهم بما يجب عليهم أن يفعلوه، ولكنهم بالتأكيد يهتمون بما يرونك تقوم به بالفعل، فإنك بالنسبة لهم القدوة الأولى، والأقوى تأثيرًا عليهم، وقد يسعى الآباء بكل جهدٍ؛ لتعليم أطفالهم قِيمًا معيَّنة، ولكن الأطفال لا بد وأن يتشرَّبوا حتمًا أي قِيم تنتقل إليهم من خلال سلوكيات آبائهم، ومشاعرهم، وتوجّهاتهم في الحياة اليومية؛ فإنَّ طريقة التعبير عن مشاعرك، والتَّحكّم فيها تصبح نموذجًا يقتدي به أطفالك طوال حياتهم».[٤٢]

إذًا، علينا أن نفهم جيِّدًا أنَّ «أفعالنا الحسنة تؤثِّر علينا، وعلى المحيطين بنا وعلى حياة أبنائنا أيضًا».[٤٣]

ويتأكد هذا التأثير في دور الأم التي يكون وجود الأبناء معها أكثر من وجود والدهم عادة، وفي هذا الصدد يقول الإمام الخميني (رحمه الله تعالى): «عندما يكون الطفل في حضن أمِّه، ويشاهد خلقها الجميل، وعملها الصحيح، وقولها الحسن، فإنَّه سيتربّى منذ تلك اللحظة في أعماله وأقواله تقليدًا لأمِّه، والذي هو أعمق من أي تقليد آخر، وتوجيهًا منها والذي هو أكثر تأثيرًا من أي توجيه آخر.

---

٤٠. تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٦١، الشيخ المفيد، تحقيق: حسن دركاهي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

٤١. الأطفال يتعلمون ما يعايشونه، د. دوروثي لو نولتي/ د. راشيل هاريس ص٩.

٤٢. الأطفال يتعلّمون ما يعايشونه، د. دوروثي لو نولتي / د. راشيل هاريس، ص٥.

٤٣. تربية الطفل في الإسلام، الشيخ مظاهري، ص٥٠.

أنتنّ لكنّ هذه المسؤوليّة العظيمة، ويجب عليكنّ أن تهتممن بأطفالكن الصغار الذين لهم نفوس تجعلهم يقبلون الأمور بسرعة، ويقبلون التربية بسرعة، ويقبلون الصالح والطالح بسرعة، فأنتنّ المسؤول الأول عن أطفالكنّ، كما أنّه لو ربيتنّ طفلًا تربية صالحة، فقد يحقق سعادة شعب بأكمله، فإنه إذا تربى طفل - لا سمح الله تعالى - تربية فاسدة في أحضانكنّ، فقد يؤدي إلى حدوث فساد في المجتمع.[٤٤]

فمن أراد تربية أبنائه على الأخلاق الفاضلة، فليغرس ذلك فيهم بالتزامه وسلوكه قبل قوله وتوجيهاته، ومن أراد تخريج أبناء يعشقون العبادة والذِّكر، فليجعل من بيته مصداقًا - ولو مصغّرًا - لقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ❖ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[٤٥]، فللجوّ الذي يعيشه الأبناء دور أساس في صياغة فكرهم، ومشاعرهم، وسلوكهم.

وتشير الدِّراسات التَّربويَّة التَّخصُّصيَّة الحديثة إلى مسألة مهمة جدًّا في هذا السياق، فتقول: «تذكر أنَّك عندما تربِّي أبناءك فأنت تربي أحفادك، لأن أنماط التربية تميل إلى الاستمرارية»[٤٦]، وهذا يعني - كما هو واضح - أنَّ التربية التي نمارسها ستترك أثرها في أبنائنا وأحفادنا نظرًا لطبيعة النّفس البشريَّة التي تتأثر بما تعايشه بشكل مباشر أو غير مباشر وإن كان ذلك التَّأثير لا يسلبها اختيارها واستقلالها، ولكنه يلقي بظلاله على من نربِّي، أو نعايش سلبًا، أو إيجابًا.[٤٧]

فيا لعظم هذه المسؤولية التي لا تنحصر تبعات التقصير فيها في كيان الأسرة فقط!

### • التَّبكير في التربية الصَّالحة

من الأمور التي يجمع على ضرورتها وأهميتها علماء التربية هي ضرورة التَّبكير في عمليَّة التَّربية والتَّعليم، وذلك لسرعة تعلّم الطفل في هذا السن، ولأن ما ينقش في صفحة نفسه في صغره يصعب زواله، فعن الإمام علي عليه السلام - في وصيَّته لولده الإمام الحسن عليه السلام -: «إنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أنْ يقسو قلبك، ويشتغل لبّك».[٤٨]

---

٤٤. منهجية الثورة، الإمام الخميني، مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني، ص٢٥٩- ٢٦٠.

٤٥. النور: ٣٦- ٣٧.

٤٦. العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ستيفن كوفي، ص١٠١.

٤٧. كذلك لا يعني ما تقدم أن أبناء الصالحين سيكتسبون الصلاح من آبائهم بالضرورة، ولا أن أبناء الطالحين سيكونون مثلهم حتمًا، فإنه يبقى لاختيار الإنسان دوره، وللمحيط والمجتمع دور كبير أيضًا في تشكيل شخصية الإنسان.

٤٨. نهج البلاغة ٣/٤٠، خطب الإمام علي (عليه السلام)، شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٣٧٠ش، دار الذخائر، قم - إيران.

«... إنَّ الخطوط الأساسيَّة في شخصيَّة الطفل يتم رسمها في السنوات السبع الأولى من عمره، وأنَّ ما يأتي بعد ذلك من مؤثرات تربويَّة مختلفة إنما هو تعميق وتفصيل وتكميل، وهذا يعني أنَّ الأسرة هي صاحبة التأثير الأكبر في شخصيات الناشئة».[٤٩]

ومن هنا فينبغي التبكير في تعليم الأطفال، وغرس المثل والأخلاق في نفوسهم، بالكلمة، والتوجيه، والقدوة العملية، والتعويد، واصطحابهم إلى مجالس الذِّكر، وأماكن العبادة، وإشراكهم في حلقات التعليم الديني، وتعليمهم الواجبات التي سيكلفون بها قبل أوان التكليف – كالصلاة، والصوم، والحجاب –؛ ليتعوّدوا عليها، وتسهل عليهم.

**• حماية الأبناء من العقائد والأفكار المنحرفة**

من الأمور التي ينبغي التركيز عليها – خصوصًا في هذا الزمن الصعب – هي قضية الاهتمام بتسليح النشء بالثقافة الإسلاميَّة الصحيحة بصورة مبكرة؛ لئلا تسرقهم التيارات العقائديَّة والفكريَّة المنحرفة عن الإسلام، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة».[٥٠]

وفي وصية الإمام عليٍّ لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «... ابتدأتك بتعليم كتاب الله (عزَّ وجلَّ) وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أجاوز ذلك بك إلى غيره».[٥١]

«... الوقت العائلي هو وقت عظيم للتعليم، والتغيير الجذري في المجتمع يجعل من الأهمية بمكان تعليم أولادنا في البيت، فإذا لم نقم بتعليمهم، فسوف يقوم المجتمع بذلك، وبالتالي سوف نعيش مع النتائج، نحن وهُم».[٥٢]

**• حماية الأبناء من رُفقاء السوء**

قال تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ❖ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾[٥٣]، فلا أصدق ولا أوضح من هذه الآية في بيان مدى الضرر الفادح الذي يتركه صاحب السوء على الإنسان، ومن هنا فلا يمكن وقاية الأبناء، والأسرة من دون تجنيبهم أصحاب السوء، فإن لمصاحبتهم آثارًا قهرية على الإنسان، فعن

٤٩. المسلمون بين التحدّي والمواجهة، (حول التربية والتعليم)، أ.د. عبد الكريم بكّار، ص٦٧.
٥٠. الكافي ٦/٤٧، شيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ش، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران.
٥١. نهج البلاغة ٣/ ٤١، خطب الإمام علي عليه السلام، شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٣٧٠ش، دار الذخائر، قم – إيران.
٥٢. العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ستيفن كوفي، ص١٧٥.
٥٣. الفرقان: ٢٨- ٢٩.

الإمام الصادق عليه السلام: «أدّبني أبي بثلاث.. قال لي: يا بنيَّ، مَن يصحب صاحب السّوء لا يسلم...».[٥٤]

ويقول الشهيد مطهري (رحمه الله تعالى): «... إنَّ لمجالسة الصالحين آثارًا حسنة جدًّا، ولمجالسة الطالحين، وأهل السوء آثارًا سيئة جدًّا، وهذا ما لا يمكن تجنّبه، أي أن الإنسان كلما أراد أن يضبط نفسه ويمسكها عن التأثر بمن يعاشره، فإنه لا بد أن يتأثر به بنسبة ما»[٥٥]، «ولا أن يعاشر منهم مَن كان سيِّئ الأدب وخبيث السريرة، فالمعاشرة مؤثرة في طبعه للغاية».[٥٦]

**• وقاية الأسرة من سلبيَّات الأجهزة الحديثة**

من الأمور التي لا يصح تركها من دون ضبط ومراقبة، هي أجهزة المعلومات والاتِّصالات الإلكترونيَّة مثل التِّلفاز، وأجهزة التقاط القنوات الفضائيَّة، والإنترنت، والهواتف الجوَّالة، فكلّ هذه الأجهزة قابلة لأن تحرف الأبناء، وتضعهم في طريق التيه.

ومن الأمور التي ينبغي فعلها - بعد حصر الاستعمال في الجهة النافعة - هو أن يُوضع التِّلفاز، والحاسوب» الكمبيوتر» في المكان العام في المنزل، ويجنّب الأبناء - وخصوصًا المراهقين منهم - الانفراد مع هذه الأجهزة، وأن تكون هناك مراقبة بنّاءة، وإشراف دائم للوالدين والمربِّين على هذه الأجهزة.

هذا عدا عن ضرورة ضبط وقت التعاطي مع هذه الأجهزة؛ لئلا تهدر أوقات الأبناء، وتؤثر على بنائهم النفسي، وثقافتهم، أو مستقبلهم الدراسي.

كانت هذه جولة سريعة مختصرة، أرادت أن تشير إلى بعض النقاط المهمّة، ويبقى الحديث عن التربية، ووقاية الأسرة حديثًا أكبر من هذا المختصر، وما التوفيق إلا بالله العزيز الحميد.

---

٥٤. الخصال، ص١٦٩، ح٢٢٢، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع ١٤٠٣هـ- ١٣٦٢ش، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة - إيران.

٥٥. التربية والتعليم، الشهيد مرتضى مطهري (قده)، ص٢٢٨.

٥٦. تذكرة المتقين، آداب تربية الأولاد، الشيخ محمد البهاري، ص٦٠.

المحور الثّالث

# وقاية المجتمع

**• هُويَّة المجتمع الإسلاميّ**

إنَّ المجتمع الإسلاميَّ هو ذلك المجتمع الذي يلتزم بالإسلام عقيدةً، وشريعةً، وأخلاقًا، وبمقدار ما يتمسّك بذلك - اعتقادًا، وعملًا - يصدق انتماؤه للإسلام، وبمقدار ما يتخلّى، أو يتنكر يصدق تخلّيه، أو تنكره للإسلام، فليس سمة الإسلام مجرد نسبة جوفاء.

ولا يمكن أن يكون المجتمع - بما هو مجتمع - ملتزمًا بالإسلام التزامًا صادقًا، وتطفو على سطحه السُّلوكيات البعيدة عن الإسلام، والظواهر الأخلاقيَّة المتحلّلة، ومن هنا فإنَّ ما نشهده من تهافتٍ على الدنيويَّات، ومن سلوكيَّات منحرفة، وأخلاقيَّات غير إسلاميَّة، وظواهر شاذّة تنمُّ عن تدهور أخلاقيٍّ مُخيفٍ دخيلٍ على بيئتنا الإيمانية، وهو تحوّل يعكس نوع تفلُّتٍ عن أحكام الإسلام العظيم، وتمرُّدٍ على أخلاقيَّاته وهداياته.

**• الهدف الأسمى للحياة الاجتماعيَّة**

إنَّ الهدف الأسمى للحياة الاجتماعيَّة هو العمل على إيجاد بيئة نظيفة طاهرة يمكن من خلالها تفجير طاقات الإنسان، وتفعيل كمالاته، وإيصال أكبر عدد ممكن إلى الغاية القصوى من الخلقة عبر تعبيد الإنسان لله تعالى، حيث قال (عزَّ وجلَّ): ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[٥٧]

وواضح أنَّ هذه الغاية لا يمكن أنْ تتحقق بصورتها المرجوّة في ظل مجتمع موبوءٍ بالأمراض الأخلاقية التي تفتك بإنسانيَّة الإنسان، وبُعده الأسمى.

**• واجب التَّصدّي للمنكر**

ولا يمكن للمؤمن الذي يشعر بصدق انتمائه وإخلاصه لدينه، وغيرته على عرضه وشرفه أنْ يقف متفرجًا على كل هذا التدهور الأخلاقيّ، والتَّراجع القِيَمي؛ فهذا خلاف الوظيفة الشَّرعيَّة الواضحة تجاه المنكر، ولا يصح - أيضًا - أنْ نكتفي بالندب وتعداد صور هذا التدهوّر.

---

٥٧. النور: ٥٥.

إنَّ أول خطـوة يجب علينـا أنْ نخطوها بعد معرفة وجود هذه الأمراض الأخلاقيَّة الفتّاكة، وانتشـارها، وحرمة السكوت عليها هي أنْ يعمَّ الاشمئزاز منها بين المؤمنين، وأنْ لا يتقبّلوها مـن باب التسـليم بالأمر الواقع، فتلك انهزاميَّـةٌ مُخزية أمام زحفِ المنكر، وانسـحابٌ عن وظيفة شرعيَّة ثابتة في لزوم مواجهته.

يـقـول آيـة الله الشـيخ المصـباح (حفظـه الله تعـالى) - في صـدد ذكره لعوامل النهضـة الاجتماعيَّة -: «الاشمئزاز العام من الأحوال والأوضاع الموجودة« فالفرد لا يقدم على إيجاد تحوّل في حياته الشخصيَّة والخاصَّة إلا حينما يرى أنَّ الأوضاع والأحوال الموجودة تضرّه وهو يريد الحيلولة دون وقوع ضرر أكبر به، أو يرى أن هناك أوضاعًا، وأحوالًا أُخرى أنفع وأصلح له وهو يريد أن يكتسـب النفع، وكذا الأمر في المجتمع، فهو لا يصـمّم - أيضًـا - على إيجاد تحوّل اجتماعيّ شـامل إلا حينما يريد التحرُّر من أوضـاع وأحوال غير مطلوبة؛ ليصـل إلى أحوال وأوضاع مطلوبة له، أو يريد التخلُّص من أوضاع وأحوال مطلوبة - بشكل من الأشكال -؛ لينال أحوالًا وأوضاعًا أفضل منها وأحسن».[٥٨]

إذًا، فلا بد من شيوع حالة اشمئزاز جدّي لهذه المنكرات؛ لئلا يتحوّل المنكر مع مرور الزمن إلى معروف!!.
ولا يصـح أن يبقى هذا الاشـمئزاز - أيضًـا - حبيس النفوس، بل لا بد من ترجمته عملًا، والتصـدِّي للمنكر، ولا يصـح مطلقًا «أنْ نشـغل أوقاتنا وأنفسـنا بتعداد الذنوب والاعتراف بالتقصـير دون عمـل مجد، فهـذا ما لا يجرّ لنا إلا خبـالًا ووبالًا... لا يثمر لنا غير إضـاعة الوقت، وتكرار الخطيئة، وتضـخم النتائج، وإرهاق النفوس بالشعور بالإثم، وإضعافها - بل إذلالها - بالإيحاء إليها أنَّها لا تستطيع فكاكًا، ولا تملك علاجًا.

فلنعمل إذًا مُجِدِّين، فقد مضـى وقت الكسـل والهزل؛ لنبيِّن للناس ما يرشدهم ويصلحهم، ولنوضِّح للناشئة ما يصونها ويثبّتها، ولنقدم للعقول ما يغذِّيها ويزكّيها.

لنُثبِت لأبنائنا إثباتًا - ليس بعده مجال للشَّـكِّ - أنَّ دين الله تعالى أولى بالقَبول، وأنَّ دعوة الله أحرى بالاستماع، وأنَّ مبدأ الله أحق بالاتِّباع؛ ليعمل كلٌ منا في هذا السبيل قدر طاقته، ومبلغ جهده، وحسب اختصاصه».[٥٩]

---

٥٨. النظرة القرآنية للمجتمع والتأريخ، الشيخ محمد تقي المصباح اليزدي، ص٤٠١-٤٠٢.
٥٩. إلى الطليعة المؤمنة، الشيخ محمد أمين زين الدين (قده)، ص٥٨.

فعن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات، وسُلِّط بعضُهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء».[٦٠]

فالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وظيفة شرعية لوقاية الفرد والمجتمع، وإعادة قطارهما إلى السكّة، ويتأكد وجوب المبادرة للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في حالة تلويث أجواء المجتمع المسلم عبر المجاهرة بالمنكر، فعن الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ المعصية إذا عمل بها العبد سرًّا لم تضر إلا عاملها، وإذا عمل بها علانية ولم يُغيَّر عليه أضرّت العامة».[٦١]

إذًا، فـ «لا بد من التصدّي لحالة تفشّي المنكرات والتَّظاهر بها، فالإسلام يقدّم النصيحة والإرشاد لمرتكب المنكر، لكنه يضع له الحد أيضًا.

لا تسمحوا لأهواء حفنة معدودة ومجموعة صغيرة وقليلة في داخل المجتمع أن تكون سببًا في إغواء عقول الشباب من الفتية والفتيات، والمؤمنين من الرجال والنساء الذين لا دافع لهم، ويحدوهم نحو الفساد... قفوا بوجه هؤلاء».[٦٢]

### • خطورة الذَّنب بين السِّر والعَلن

ويتحدث الرَّاحل الكبير الشيخ محمد أمين زين الدين (رحمه الله تعالى) عن الفرق بين خطر الذنب الشخصي، وبين الخطر العظيم للذنب الذي يُرتكب جهارًا على مرأى من المجتمع ومسمع، فيقول: «والفارق الكبير بين هذه الذنوب وغيرها: إنَّ هذه الذنوب جرائم اجتماعيَّة عامة توجب فساد المجتمع من أصله، وفساد قيمه، وركائزه، وانحلال أصوله العامة المشتركة، ولذلك فلا تختص آثارها، وسوؤها بفرد خاص من أفراده، ويكون المقت والعقاب عليها عامًّا للعامل وغير العامل إذا هو أغضى وتسامح في الأمر، أو سكت عن الإنكار، بل وللكبير والصغير، والذنوب الأخرى إنما هي مخالفات شخصيَّة، فتختص آثارها، وعقابها بالعامل نفسه، ولا تعمُّ غيره من الناس، وقد أشارت الأحاديث المتقدمة إلى ذلك، بل صرّحت به تصريحًا تامًّا، ولذلك فيجب التنبّه كل التنبّه، ويجب الحذر كل الحذر، وفي الحديث: «كان يُقال لا يحل لعينٍ مؤمنة ترى الله يُعصى، فتطرف حتى تغيِّره».[٦٣]

---

٦٠. تهذيب الأحكام ١٨١/٦، الشيخ الطوسي، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ش، دار اكتب الإسلامية، طهران – إيران.

٦١. ثواب الأعمال، ص ٢٦١، الشيخ الصدوق، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، الطبعة الثانية ١٣٦٨ش، منشورات الشريف الرضي، قم – إيران.

٦٢. مكارم الأخلاق ورذائلها، السيد القائد الخامنئي، ص٢٣٦.

٦٣. كلمة التقوى ٣٠٥/٢، الشيخ محمد أمين زين الدين، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المسألة الثانية، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م، الناشر: السيد جواد الوداعي.

وبعد كل هذا يتبيّن أنَّ «الشعور بالمسؤولية تجاه الانحراف الاجتماعي هو بداية افتراق الإنسان المسلم العامل عن غيره من المسلمين».[٦٤]

**• المسؤوليَّة تجاه المنكر ليست محصورة بالأقارب**

كذلك، فإنَّ الشعور بالمسؤوليَّة تجاه المنكر لا يصح أن نحصره في دائرة أبنائنا أو أهلنا، ونتقاعس عن أداء مسؤوليتنا تجاه المجتمع فيما لو تحرّك المنكر فيه - فهو عدا عن خطئه شرعًا - غير صحيح بحسب القوانين والسنن الاجتماعية، وذلك لأن المنكر والوباء الاجتماعيّ إذا ظهر على السطح صار مرشّحًا لتلويث الجميع، كالنار التي إذا اشتعلت في بيت واحد ولم تطفأ أتت على كلِّ ما يجاورها.

«لا يوجد في الإسلام فرق بين أبنائك وأبناء الآخرين، فإذا ما وَجَدْتَ في ابنك صفة مرذولة وممجوجة ولا يمكن تحمُّلها، فإنَّ عليك أنْ تشعر بنفس هذه المسؤولية، وهذا الشعور تجاه أبناء الآخرين... لا شك أنَّ ثمة تفاوتًا بين مشاعر الإنسان تجاه أبنائه ومشاعره تجاه الآخرين، إلا أنَّ المسؤولية واحدة بلا أدنى فرق، فلو رأى أبناء الآخرين على شفا السقوط في هاوية الانحراف أو الابتذال، فعليه أن يحول دون ذلك كما يفعل مع أبنائه تمامًا».[٦٥]

**• كلكم راعٍ وكلُّكم مسؤول**

إنَّ مسؤوليَّة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى مسؤوليةٌ يشترك فيها جميع المكلَّفين القادرين على ذلك، وهي من «الواجبات الكفائيَّة» التي لا تُخرج المكلفين جميعًا عن عهدتها، إلا بقيام العدد الكافي؛ لأدائها بالصورة التي تعيد الأمور إلى طريق الله تبارك وتعالى.

ومن هنا، فليس من الصحيح أنْ تُلقى تبعة هذه العمليَّة على فئة خاصة، أو جماعة خاصة كالعلماء، فهذا تقاعسٌ وفرار عن المسؤوليَّة الشرعيَّة الثابتة في حق الجميع، وهروبٌ غيرُ موفقٍ عن أداء الدور الإسلامي المطلوب.

«... إنَّ مَن يفكِّر بترك المهمة العظمى في العمل الإسلامي، ويجعلها على عاتق العلماء فقط، وتركهم في ميدان المعركة كقادة دون جنود، فهذا بالحقيقة إجحاف بحقهم (حفظهم الله)، وتقصير في تفكير من يفكر بذلك».[٦٦]

---

٦٤. نظرات في الإعداد الروحي، الشهيد الشيخ حسين معن (قده)، ص١٢٣.

٦٥. الإسلام المحمدي، السيد القائد الخامنئي (دام ظله)، ص١٦٦.

٦٦. المشكلة الاجتماعية المعاصرة، الشهيد السيد نوري طعمة (قده)، ص٨٧.

فلا بد من نفيرٍ عام يتصدّى لمواجهة كل هذه المنكرات والسلوكيات المنحرفة، والعمل على تطهير الأجواء منها، وخلق أجواء إيمانية صحيحة.

**• من أين نبدأ؟**

حتى ننجح في أي عمل لا بد لنا من الموازنة بين الأولويات وغيرها، وبين الأهم والمهم، وبين ما يستدعي علاجًا فوريًّا، وما يحتاج إلى إرجاء، ونحو ذلك من أمورٍ، تدخل في تنظيم عملية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى؛ لتجنُّب الارتجال؛ ومن أجل الدقّة في العلاج.

ولو جئنا للفلاّح الذي يريد أن يزرع أرضه، ويجني ثمر تعبه بنجاح، فإنَّه لا يمكنه أنْ يفعل ذلك دون أن يقوم بحرث الأرض، والذي هو - أي الحرث - في حقيقته عملية تنظيف، وإعادة تهيئة وإعداد.

وهكذا حين نريد أن نبدأ بإصلاح المجتمع الذي يعاني من التدهور الأخلاقي، ونوع خلل ثقافي، فإنَّنا لا يمكن أن نبدأ بالزرع دون أن نزيل كل هذه الأوساخ الآنفة التي تطفو على السطح، وتسمِّم الأجواء مما يجعل الغرس معها ضربًا من العبث.

يقول الشهيد السيد نوري طعمة (رحمه الله تعالى): «إن الذهنية الواعية هي التي تدرك أنَّ العملية في بداية الأمر في أمس الحاجة إلى تطهير الجو العام، وتغيير جذور الواقع الفاسد».[٦٧]

ولو أردنا استعراض بعض هذه الممارسات البعيدة عن الإسلام وهديه التي يلزم تطهير المجتمع منها، فيمكن أنْ نذكر - كمثال - ما يلي:

١- استبدال اللِّباس الشَّرعي المحتشم بلباس آخر يناقض روح الإسلام وتعاليمه.

٢- شيوع العلاقات المحرّمة بين الجنسين من مختلف الأعمار، حتى الصغيرة في بعض البيئات!

٣- ارتياد البعض للسينما، والفنادق، والمقاهي، والمجمّعات التِّجارية؛ للأغراض غير الأخلاقية.

٤- ظاهرة «البَسَطَات»، و«الحوَط».

٥- تعاطي البعض للمخدرات.

٦- انتشار الملاهي اللَّيلة، والمراقص في بعض الفنادق والمطاعم.

٧- انتشار حانات الخمور، ومراكز بيعها، وسهولة تداولها في بعض المناطق.

٦٧. المشكلة الاجتماعية المعاصرة، الشهيد السيد نوري طعمة، ص٨٨.

٨- شيوع ظاهرة الشقق المستخدمة؛ لأغراض الدعارة والمجون في بعض المواقع.
٩- سوء استخدام التِّلفاز والفضائيَّات.
١٠- سوء استخدام الشبكة العنبوتيَّة (الإنترنت).
١١- استماع البعض للغناء بشكل علني.
١٢- ظاهرة سفر الفتيات والنساء إلى أماكن العبادة كالعمرة والزيارة من دون وجود المحارم، ممَّا قد يكون مدعاة للكثير من المحاذير الشَّرعيَّة والأخلاقيَّة، وسببًا من أسباب ممارسة الرَّذيلة والحرام كما في بعض الحالات.
١٣- تفريغ إحياء المناسبات من روحها وأهدافها السَّامية، والتَّركيز على الشَّكليَّات التي لا يخلو بعضها من إشكالات شرعيَّة، أو أخلاقيَّة.
١٤- مصاحبة حفلات الزَّواج للكثير من السُّلوكيَّات غير الشَّرعيَّة، والمظاهر غير الأخلاقيَّة في الملبس المتهتِّك المثير، والرَّقص، أو الغناء غير المستثنى، وما شابه.
١٥- ظاهرة «البويات»، والشَّواذ.
١٦- ظاهرة ظهور الأجنبيَّات من عاملات وموظّفات، أو خدم في القرى والأماكن السَّكنيَّة سافرات، ومن دون رادع.
١٧- انتشار الإعلانات والصور المبتذلة الماجنة في الشَّوارع والأسواق، وعلى بعض المحلَّات، والتي قد تسلَّلت حتى لبعض القرى.
وغير ذلك من مظاهر، وظواهر باتت تسمِّم أجواء المجتمع، وتكسر هالة المعصية، والحياء في النفوس.

**• ضرورة تطهير المجتمع من الملبس غير المحتشم**

وليتوقف الحديث هنا بشكل خاص عند قضيَّة الملبس غير المحتشم؛ لكونها المفتاح للكثير من الانحرافات التي ظهرت على السَّطح، ولوّثت أجواءنا الإيمانية، ولانعكاساتها التَّخريبيَّة الخطيرة المتعدِّدة.
يقول السيد الإمام الخامنائي (دام ظله): «يجب أنْ لا يكون الجمال والزِّينة مدعاة لتفشِّي الفساد والرَّذيلة في المجتمع، ولا يقود إلى إشاعة التَّحلُّل الخُلقي... الغلو في الاندفاع نحو التَّجديد «الموضة» في الثِّياب والملابس ينتهي بإشاعة الفساد.
إذا أصبح الاهتمام بالزينة والظاهر الجميل وأمثال ذلك هو الهاجس الأساسي والهم الرَّئيس في الحياة، فهو عين الانحطاط والانحراف، ....( ثم قال): ولكن لا إشكال في ترتيب المظهر والملبس بالشكل المناسب بعيدًا عن مظاهر التَّبرُّج والمباهاة.
لقد حرم الإسلام التَّبرُّج بما يعنيه من إظهار النِّساء زينتهنَّ أمام الرِّجال.

إنَّـه من أنـواع إثارة الفتنـة، وعليه مؤاخذات كثيرة لا تقتصـر إفرازاتها على وقوع الشَّـاب والشَّابة في الإثم - فالإثم أوّلها - وإنَّما تسري مخلفاتها إلى كيان الأسرة أيضًا...».[٦٨]
إنَّ اللِّباس ليس صامتًا أبدًا، بل إنَّه يتحدَّث بأبلغ بيان، فهو تارة يدعو النَّاظر الأجنبيَّ للتَّحرُّش بالفتاة أو المرأة، وتارة يردعه عن ذلك، وما ذلك إلا راجع لنسبة الاحتشام والرَّزانة في ذلك الملبس، فـ «عندما تخرج المرأة من البيت وهي محجبة ومتسربلة بالوقار تكون قد راعت جانب العفاف، فإنَّ الأفراد الفاسدين والمتهتِّكين لا يجرؤون على التعرُّض لها».[٦٩]

وكذلك الأمر في الزِّينة والطِّيب إذا خرج عن الضَّوابط الشَّرعيَّة، فهو «أيضًا رسولٌ من نفسٍ شريرة إلى نفس شريرة أخرى، وهو من ألطف وسائل المخابرة والمراسلة، ممَّا تتهاون به النُّظم الأخلاقيَّة عامَّة، ولكن الحياء الإسلاميَّ يبلغ من رقة الإحساس أنْ لا يحتمل حتى هذا العامل اللَّطيف من عوامل الإغراء، فلا يسمح للمرأة المسلمة أنْ تمرَّ بالطُّرق، أو تغشى المجالس مستعطرة، لأنَّها وإنْ استتر جمالها وزينتها ينتشر عطرها في الجوِّ، ويحرك العواطف».[٧٠]
فالمرحلة الأولى لإصلاح المجتمع هي العمل على تطهير الجوِّ العام من كلِّ هذه السُّلوكيَّات والأخلاقيَّات البعيدة عن فكر الرِّسالة، وشريعتها، وأخلاقها.

### • البدء بإصلاح الفرد نفسه

والسَّبيل إلى ذلك هو أنْ نبدأ بإصلاح الإنسان، فإنَّ «أيّ إصلاح يبدأ من الإنسان، فلو لم يتربَّ الإنسان، فلن يتمكن من تربية الآخرين»[٧١]، وعلينا أنْ نلتفت إلى أنَّ «أول الجهد ينبغي أنْ يوجَّه إلى البيت إلى الزّوجة، إلى الأم، ثم إلى الأولاد، وإلى الأهل بعامَّة».[٧٢]
والطَّريق إلى هذه الغاية العظيمة من التَّغيير والإصلاح لا بد أنْ يمرَّ عبر تغيير وإصلاح ثقافة النَّاس، لأنَّ الأفكار والثَّقافة (طريقة النظرة للأمور) هي الحامل للسُّلوكيَّات، ولذلك قالوا: «ازرع فكرًا تحصد سلوكًا».
قال الإمام الخميني (رحمه الله تعالى): «إنَّ السَّبيل لإصلاح أيِّ بلد إنَّما يبدأ من إصلاح ثقافته، فالإصلاح يجب أنْ يبدأ من الثَّقافة».[٧٣] وقال -أيضًا-: «إذا صحَّتْ الثَّقافة صحَّ شبابنا».[٧٤]

---

٦٨. الإسلام المحمدي، السيد القائد الخامنئي (دام ظله)، ص١٦٧.
٦٩. الشهيد مطهري، الحجاب، عن كتاب العفاف والشرف، د.كريمة أمين الخفاجي، ص٤٠.
٧٠. الحجاب، أبو الأعلى المودودي، ص٢٦١.
٧١. منهجية الثورة، مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني، ص٢٤٣.
٧٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، في تفسير الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...﴾.
٧٣. الكلمات القصار، الإمام الخميني (رحمه الله تعالى)، ص٢٣٥.
٧٤. نفس المصدر.

فالثَّقافة هي عماد المجتمعات، وبتغيير ثقافة المجتمع يمكن تغيير جنباته الأخرى، ولذلك فإنَّ «أعداء عزَّة المسلمين، وشوكتهم، وسعادتهم، قد خططوا لسرقة حريَّة الأمَّة الإسلاميَّة واستقلالها، ولجعلها تابعة لهم ومتطفّلة عليهم، فبدأوا قبل كلِّ شيء بالتَّسلُّل إلى سدِّها الثَّقافي المحكم، وبعد أنْ غيَّروا ثقافتها، ونظام تربيتها وتعليمها بما يتفق مع أهدافهم ومقاصدهم، فقد نجحوا في تحقيق نيَّاتهم الخبيثة بسهولة وسرعة ويسر، وقادوا المسلمين نحو التفتت والانحطاط».[٧٥]

من هنا، فعلينا أنْ نعمل - بكلِّ جدٍّ - على حماية ثقافة المجتمع وفكره، ونحرسه عن سموم تلك التَّيَّارات الفكريَّة المنحرفة، و«الموضات الثَّقافيَّة» التي تطلُّ بين الفينة والأخرى، فتسرق بعض أبناء الأمَّة، لا سيما شبابها الأعزاء.

قال الدكتور محمد الفقيه: «...، ومن أخطر ما في الموضات الثَّقافيَّة أنَّه قد يتبناها الشَّاب في بواكير تكوينه المعرفيِّ وتُشَكِّل عقليَّته وثقافته، فتعلق بذهنه، وتصبح جزءًا من شخصيَّته الثَّقافيَّة لا يستطيع منها فكاكًا، وتنتهي الفكرة، وهو مازال متمسِّكًا بها، لا يرى في الدُّنيا غيرها...».[٧٦]

نعود، ونقول: إنَّنا عندما نواجه المنكر نحتاج إلى تصحيح ثقافيٍّ وفكريٍّ؛ ليكون الخلفيَّة والأساس الذي يُبنى عليه صرح السُّلوك القويم.

ويجب أنْ نلتفت إلى أنَّ «القضاء على الانحراف يتطلّبُ المرور بمرحلتين مندمجتين، وهما: محاربة الانحراف، والوقوف أمام تيّاره، وإيجاد ما يسدُّ فراغ النَّاس الذي يحصل لديهم بعد ذلك».[٧٧]

فعلينا - مثلًا - أنْ نبعد الطِّفل، أو الشَّاب عن رفقة السُّوء في المرحلة الأولى عبر توعيته على مضارِّهم وخطرهم على دينه، وأخلاقه، ودنياه، ومستقبله بالطَّريقة الحكيمة، ثم نُوجد له البديل الذي يسدُّ له فراغ ابتعاده عن رفقة السُّوء في المرحلة الثَّانية؛ لئلا يرجعه الفراغ مرَّة أخرى إلى حيث كان.

### •العمل الفرديّ أم العمل الجماعي؟

وبما أنَّ هذه المسؤوليَّة - عمليَّة إصلاح المجتمع ووقايته - عمليَّة شاقَّة جدًّا، وتحتاج إلى تضافر جهود كبيرة، فليس السبيل إليها إلَّا تلاقي جهود أبناء المجتمع وطاقاته الخيِّرة،

---

٧٥. النظرة القرآنية للمجتمع والتأريخ، الشيخ محمد تقي المصباح اليزدي، ص٣٧١.

٧٦. من مقال للدكتور الفقيه بعنوان "الموضات الثقافية"، نُشر بتاريخ: ٠٨-١١-٢٠٠٩م.

٧٧. الأضواء الإسلامية، س٣، ع٥، ص١٩٩. نقلاً عن: المشكلة الاجتماعية المعاصرة، الشهيد السيد نوري طعمة، ص٨٧.

وصـهرها في بوتقـة عمل جماعـي منظّم (مؤسسـي) مدروس جيِّـدًا؛ وذلـك لأنَّ «المجهود الضَّـئيل لا يفي بالغرض أمام ضـخامة القوى المعادية، وانَّ كلَّ المحاولات الفرديَّة نصـيبها الفشل...، ولقد أثبتت ذلك التَّجارب التَّأريخيَّة على مرِّ الأزمان.

وتـبرز الحاجة الملحة إلى اسـتبدال العمل الفـرديِّ بعمل جماعيٍّ عامٍّ يضـمُّ أفراد الطَّليعة الإسلاميَّة ذات الوعي والإدراك المركَّز.
وإنَّ يد الله ﷻ مع الجماعة.
هذا وإنَّ العمل بشكله المذكور - آنفًا - يضمن استمرار العمليَّة حتى نهاية الشُّوط، وذلك ما يختلف مع العمل الفرديِّ إذ أنَّ انقضاء حياة الفرد يعني انقضاء عمله».[٧٨]

**• رسم الخطة وتوزيع العمل وفق القابليات**

ولا يصح أنْ تنطلق عمليَّة التَّغيير من حالة ارتجاليَّة، وبعثرة في الجهود، وإنَّما لا بدَّ أنْ تنطلق وفـق «مخطط اسـتراتيجيٍّ»، يُعدّ الخطة بكلِّ عناية وحكمة، ويشـرف على مسـيرة التَّغيير، ويتابعهـا بـكلِّ اهتمام، فينظِّم الجهود، ويقسِّـم الأدوار، ويصـحِّح الخطأ، ويشـدّ العزائم، ويعطـي لـكلِّ قابليَّة ما يناسـبها من دور ومسـؤولية: «ولا بدَّ لنا - إذًا - مـن أنْ نلاحظ هذه النَّاحية في وعينا للمسـؤوليَّة، وفي دعوتنا لتحملها، فهناك طوائف من الناس لا نسـتطيع أنْ نطلب منهم إلا العمل الفكريّ والنّظريّ، ذلك لأنَّهم يملكون الفكر والثَّقافة التي يسـتطيعون بها أنْ يخطِّطُوا، ويرسموا الطَّريق نحو الغاية دون العمل الخارجي ومقوِّماته، وهناك طوائف لا نسـتطيع أنْ نطلـب منهم إلا الأعمال الخارجيَّة التي تختلف حسـب اختـلاف نوع الأفراد في قدرتهـم؛ لأنَّهم لا يملكون أدوات العمـل الفكريِّ والثَّقافيِّ، فإنَّنـا إذا أغفلنا هذه النَّاحية الدَّقيقة، فسنحصل على نتائج عكسيَّة بطبيعة ارتباط الوسائل والمقدّمات».[٧٩]

**• المرابطة في خندق الإصلاح حتى النِّهاية**

وهكذا يجب أنْ نبقى في خندق الإصلاح، وخط التَّغيير بشكل دائم، مهما بدت لنا المعركة بين الحقِّ والباطل غير متكافئة، ومهما ثبَّت المنكر وجوده على الأرض، فقد قال ربُّنا الله تعالى: ﴿... كَذَلِكَ يَضْـرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾.[٨٠]

٧٨. المشكلة الاجتماعية المعاصرة، الشهيد السيد نوري طعمة، ص١٦٠. ويؤكد الشهيد مطهري (رحمه الله تعالى) على هذه المسألة بقوله: «علينا أن ننتبه إلى أن العمل الفردي قليل نفعه، وفي هذه الأيام خاصة. وهذه مشكلة أخرى من مشاكلنا الاجتماعية، إذ إن أصحاب العمل الصالح لا يعنون كثيرًا بالعمل الاجتماعي. إنهم فرديون والعمل الفردي لا يحقق نتيجة؛ لأن الفرد لا يحقق عملًا، ولا تصميم الفرد يوصل إلى غاية، إذ لا بد من التعاون والتفكير الجماعي ومساهمة الجماعة «محاضرات في الدين والاجتماع، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشهيد مطهري، ص٢٤١.

٧٩. المشكلة الاجتماعية المعاصرة، الشهيد السيد نوري طعمة، ص٨٧.

٨٠. الرعد: ١٧.

فعلينا أنْ نبقى في هذا الخط المسؤول بكلِّ طمأنينة وثبات؛ لئلا نمهِّد بتخاذلنا وانسحابنا من خطِّ المواجهة للحالة التي أخبر عنها النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - على ما هو المروي - بقوله: «كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر.

فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟

فقال: نعم وشرٌّ من ذلك!

كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف، فقيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟

قال: نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروفَ منكرًا، والمنكرَ معروفًا».[٨١]

إنَّ السبب في الوصول إلى هذه النَّتيجة البائسة المُرَّة هو ترك الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر عند بداياته الأولى، ثم ترك المنكر الذي بدأ يتحرَّك جهرًا «يسرح، ويمرح» من دون مواجهة حقيقيَّة ورادع، حتى يثبِّتَ وجوده، فتضعف العزائم أمامه، وتميل إليه النُّفوس، وتتغيَّر نظرتها تجاهه بعد أنْ ذاقت وسكرت بنشوته!

وفقنا الله تعالى جميعًا لوقاية أنفسنا، وأهلينا، وواقعنا كلّه، وأخذه على طريق العبوديَّة الصَّادقة لله تعالى.

## • الخاتمة

في ختام هذا العرض المختصر السَّريع، نعيد التَّأكيد على ضرورة الاهتمام ببناء الإنسان لنفسه، وأخذها دائمًا على طريق الله تعالى، فتلك هي الضَّمانة لصلاح الأسرة والمجتمع، فما الأسرة والمجتمع إلا مجموعة أفراد إذا صلح الفرد فيهما صلحا، وهذا لا ينبغي أنْ يجعلنا نلغي، أو نقلِّل من دور الأسرة والمجتمع، فالعلاقة بين المحاور الثَّلاثة (الفرد - الأسرة - المجتمع) علاقة وثيقة متبادلة التَّأثير، وهو ما يفرض المرابطة بكلِّ جديَّة في الخنادق الثَّلاثة، والتَّحلِّي بشعار كتاب الله تعالى: ﴿... إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.[٨٢]

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

---

٨١. الكافي ٥/٥٩، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة ١٣٦٧ش، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.

٨٢. هود: ٨٨.

**فلنعمل** على توبة أبنائنا وبناتنا وأهلينا وكل من كانت له صلة بنا، وقبل ذلك فلنعمل جاهدين على أن نحقق توبة صادقة منّا إلى الله تبارك وتعالى.

سماحة آية الله
الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)

يمكنكم التواصل عبر
الصفحة الإلكترونية الخاصة بـ: موسوعة حالات التوبة
website: www.olamaa.net/tawba
E-mail: tawba@olamaa.net

نرحب بتواصلكم معنا، وبكل ملاحظاتكم واقتراحاتكم:
مبنى ٤٠، طريق ٤٨، مجمع ٤٤٤، هاتف: ١٧٥٩٢٦٧٢ فاكس: ١٧٥٩٦٥٤٠، الإدارة النسويّة: تليفاكس: ١٧٥٩٢٦٧٣
حلة العبد الصالح، مملكة البحرين - الموقع الإلكتروني: www.olamaa.net البريد الإلكتروني: info@olamaa.net